



لا يزال التدخل في شؤون الدولة السورية والنظام السوري يخضع للقانون الدولي؛ فجميع الدول العاملة في سورية دخلت بشكل قانوني، إما بطلب من النظام – المعترف به دولياً حتى الآن – كروسيا وإيران، وإما تحت ذريعة مكافحة الإرهاب كبقية الدول، وهي البوابة الأكثر فاعلية في الطَّرَف المقابل للنظام...

من هنا يمكن تفسير ما تَمَّ تداوله في الآونة الأخيرة عن التدخل السعودي_ التركي لقتال داعش – إذا نظرنا له إيجابياً – بأنه يأتي ضمن سياق البحث عن غطاء دولي أو مظلة قانونية تستطيع السعودية_ تركيا الدخول المباشر من خلالها إلى الجغرافية السورية، ومن تَمَّ تقوم بتنفيذ أجندها الخاصة في دعم الثورة... وبالتأكيد المظلة القذرة التي تُستباح بها الأراضي السورية، ويدخل الجميع من تحتها هي داعش...

ولا شك أن التدخل السعودي – فيما لو تَمَّ – هو الرَّهَان الأخير الذي يمكن أن نعقده على الدول الوظيفية التي قادت المنطقة العربية إلى دمار وموت مُحْتَم... والحكم على هذا التدخل – إيجاباً أو سلباً – سيكون من خلال النظر في الأجنده التي يتم تنفيذها على الأرض... بمعنى: هل ستكون داعش ذريعة التدخل السعودي_ التركي المباشر، ومن تَمَّ تقوم هذه الدول بتنفيذ أجندها الخاصة في مساندة الثورة واقتلاع النظام، وإيقاف المد الإيراني في المنطقة، أم ماذا؟

لقد بات واضحاً اقتراب انحسار داعش في سورية... مما يعني تعزيز تهميش الوجود السني في المنطقة، وإخراج العرب السُّنة من المعادلات أو التوازنات الإقليمية المستقبلية؛ وذلك بسبب حالة الحقد والكراهية التي صنعتها داعش، والتقارب الأمريكي الإيراني الجديد، في خطوة مشابهة لما حدث في العراق تماماً... وكل ذلك بفضل غياب الحركات الجهادية، وعمالة الأنظمة الوظيفية، والميليشيات العابرة للحدود، يضاف إلى ذلك سوء إدارتنا للملفات الساخنة التي تغلي بها المنطقة...

إن جميع الدول المؤثرة والمتأثرة بما يجري في الساحة السورية هي الآن في سباق مع الزمن، وذلك بالنظر إلى ما يجري على الحدود شمالي حلب – إعزاز وما حولها –؛ لأن وصول الميليشيات الكردية إلى إعزاز، وسيطرتها على الشريط

الحدودي يعني اقتراب ولادة الدولة الكردية المزعومة، والتي تتكامل ولادتها بالوصول إلى البحر...

إن السماح بتشكيل دولة معادية أو نتوء شاذّ عن المحيط في جنوب تركيا يعني فصل وإبعاد تركيا – ذات البعد السني – عن عمقها الاستراتيجي وهم العرب السُّنة... مع ما يمكن أن تثيره هذه الدولة لاحقاً من قلاقل في عمق الدولة التركية، خاصة إذا ما نظرنا إلى امتدادها الديمغرافي في الداخل التركي، والذي قد يتحول بشكل ما إلى مناطق وبؤر توتر بفعل الميليشيات الكردية لاحقاً...

وعلى فرض لم تصل هذه الميليشيات الكردية إلى إعزاز، واستجابات للتعليمات الأمريكية المطالبة بالتوقف عند مطار منع، حينها ستفتر الدولة التركية للمرة الثانية عن التدخل، وستُخَدَع مُجدِّداً بالوعود الأمريكية بعدم تجاوز الميليشيات الكردية الحدود المرسومة لها... ومن ثمّ ستبدأ هذه الميليشيات بحرب برية ضد داعش تحت غطاء من التحالف الدولي، وستُدَعَم من قِبَل أمريكا لاحقاً، ليمت بذلك السيطرة والتحكم بالدولة السنية المختنقة أصلاً، والتي يُراد لها أن تقوم على أنقاض داعش...

الجميع في سياق مع الزمن، والإقليم الذي يتم إعداده للعرب السُّنة في سورية بات لقمة شهية لهم؛ لأن "من يُحرّر منطقة من داعش فهي له"، وهذا سِرُّ استعجال جميع الأطراف الوصول إلى المناطق التي تخضع لسيطرة داعش... فتسابق إليها: النظام وحلفاؤه روسيا وإيران، والميليشيات الكردية المدعومة من روسيا وأمريكا، وفصائل الثورة السورية المدعومة إقليمياً... وفي حال وصول النظام والميليشيات الكردية إلى إعزاز فإن هذا يعني إعادة تَعْوِيم النظام دولياً، ومن ثمّ طرحه كشريك أساسي في مكافحة الإرهاب ومحاربة داعش، وذلك بالاشتراك مع قوات سورية الديمقراطية، والتي تطرح نفسها كفصيل أو مكون ثوري في جانب الثورة السورية، وبهذا السيناريو تكون قد تحققت أحلام روسيا وأمريكا في وأد الثورة السورية، وإقامة تحالف بين النظام والمعارضة بهدف مكافحة الإرهاب، وهو ما سَعَت له موسكو قبل انعقاد جنيف1...

الآن – وأكثر من ذي قبل – يتحتم على الثورة السورية أن تقوم بتجريد نفسها عن الحلفاء، وأن تقوم بالبحث عن مخارج ذاتية من الأزمة، والهدف الأساسي أن تحافظ الثورة على نفسها "الصراع من أجل البقاء"؛ لأن الثورة عاشت حالة استنزاف هائل على صعيد العنصر البشري، إذا ما استمر لفترة أطول قد ينعكس سلباً على خط سير الثورة كلياً، مما سيفقد القدرة على البقاء والاستمرار...

على الجميع – الحلفاء قبل الأعداء – أن يدركوا أننا لسنا الوحيدين المعنيين بهذه المعركة، وأن الشرر سيظال الجميع بدون استثناء، تركيا والسعودية وغيرها... ولن يشفع لأحد رغبته في انتصار الثورة السورية؛ لأننا نعيش الآن حرباً فعلية، لا ينفع معها التصريحات والعنتريات الكلامية...

ينبغي أن يدرك الحلفاء – فيما لو أرادوا الحل – أنه ليس أمامهم سوى الاعتماد علينا فقط، وهذا بالتأكيد سيكون أقل كلفة عليهم من الناحية المادية أولاً، ومن ناحية المخاطر التي تحتفّ بالتدخل العسكري المباشر ثانياً؛ فإن احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة ليس بعيداً فيما لو تدخلت الدول بشكل مباشر في هذا الملف...

قد تكون الدول الكبرى تسعى لاستنزاف أو توريث السعودية وتركيا في حرب كبيرة لا يعرفون كيفية الخروج منها، وقد يكون التدخل الروسي المباشر في الحرب هو جزء من اللعبة الدولية لتوريث روسيا أيضاً، وإدخالها في مستنقع الحرب... وبهذا تتفادى الدول الكبرى الحرب العالمية الثالثة، وتحقق هدفها في تدمير القوتين معاً... أعني: القوة الروسية الباحثة عن دورها التقليدي كقطب دولي، والقوة التركية الباحثة عن دورها التاريخي الأممي... وقد يكون حديث الأروقة الغربية عن الحرب العالمية الثالثة، والتحذير من اشتعالها، والبحث في مدى استعداد الدول الكبرى لها... قد يكون جزءاً من هذا السيناريو...

بالتأكيد نحن نَنفَهَمُ خطورة التدخل السعودي_التركي في سورية، ومدى تأثيره على الصراع الدولي بل على النظام العالمي؛ لذلك كان كلام ميديفيدف واضحاً عندما حدّر من نشوب حرب عالمية ثالثة فيما لو تدخل أحد في سورية بدون موافقة

قد يكون المراد تخويف تركيا وثنيتها عن المتابعة في حماية أمنها القومي، وقد يكون التحذير جدياً بالقدر الكافي لإشعال الحرب... ولا شك أن إسقاط تركيا للطائرة الروسية كان اختباراً حقيقياً لإرادة الطرفين في خوض الحرب...

نحن ندرك تماماً خطورة الوضع، ولا نطالب الدولة التركية بهدم ما بنته خلال عقدين في أيام، لكن لا بد أن يعلم جميع الباحثين عن بقايا دولهم في التاريخ - تركيا مثلاً - أن الحرب لم تكن يوماً أمراً اختياريًا لأحد...

لقد ارتكبت تركيا خطأ كبيراً عندما ظنت أنها قادرة على المضي بسياسة "صفر مشاكل"، مع أنها تعلم بوجود الكثير من ألسنة اللهب حولها... بل هي تعيش في منطقة الزلزال الدولي قطعاً، وللأسف لم تكن ثلاثة عشر حرباً مع روسيا وحدها كافية في تثبيت هذه القضية في ذاكرة الدولة التركية...

تركيا بلا أدنى شك بدأت تعي أصل المشكلة، وعرفت أين ترقد الأفعى، ومن أين ينبغي أن تبدأ... لكن من الواضح جداً أنها تخشى المواجهة الخشنة، وهذا شيء طبيعي جداً في بلد شكّل حكومة رجال أعمال تحت شعار تحسين الاقتصاد وتحقيق الرفاهية، ولم يُشكّل حكومة حرب لمواجهة المخاطر والتحديات التي تحيط به...

لا تزال تركيا تراهن على حلف الناتو، وتحاول التدخل من خلال غطاء دولي يمنع استنزافها في حرب طويلة ومدمرة قد ترتكب روسيا حماقة في إشعالها... هي تريد إدخال الدول الكبرى في طاحون الحرب، وهذا توجهٌ صحيح بلا أدنى شك، لكن السؤال... إلى متى ستنظر تركيا التدخل الدولي المشترك الذي يحقق لها غايتها؟

قد يطول كثيراً انتظار تركيا لتدخل دولي يحقق لها مصالحها؛ لأن تدميرها جزء من المخطط المرسوم للمنطقة، والتأخر في دراسة التاريخ وقراءة المستقبل بشكل صحيح سوف يتسبب بمشاكل كثيرة كان يمكن تفاديها بالقليل من الجرأة... لقد شاهد الجميع كيف أن التدخل الروسي المباشر عَقَدَ القضية السورية، وأدخلها ضمن الصراع الدولي بشكل سافر، وحدّ من تأثير تركيا والحلفاء في مجريات الحدث - غياب الطيران التركي عن الأجواء نموذجاً -...

وأخيراً... يؤتى الحذر من مأمنه... ولا يغني حذر من قدر... ومن أكثر احتساب الخسائر لم يتجر... لقد وضعت تركيا نفسها في دائرة الهدف عندما قررت أن تعود إلى أندية الكبار مُجدِّداً... والغرب وروسيا لن يسمحوا لها أن تعود للتأثير في المشهد الدولي كقوة عظمى مهما التزمت بالشرعية الدولية... ولا خيار أمام تركيا إلا أن تستعيد دورها التاريخي وتتحرك كلاعب شرس في الإقليم مبدئياً...

لا شك أنها قد تخسر على المدى القصير جزءاً من ازدهارها واقتصادها... لكنها سوف تكسب على المدى البعيد أمنها واستقرارها... فإذا أرادت الحفاظ على بناء عقدين فلا بد من اتخاذ قرارات جريئة وحاسمة، ومن يظن أن التحولات التاريخية تقوم على التفاهات الورقية فهو واهم...